في الصحيح أنه سبحانه قال في جواب الملائكة : اجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة وعزتي وجلالي لأجعل من خلقته بيده كمن قلت له كن فكان .

وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ في العظمة والبيهقي عن ابن عمر رضي ا تعالى عنهما قال : خلق ا تعالى أربعا بيده العرش وجنات عدن والقلم وآدم ثم قال لكل شيء كن فكان وجاء في غير ما خبر أنه تعالى كتب التوراة بيده وفي حديث محاجة آدم وموسى عليهما السلام ما يدل على أن المخلوقية بها وصف تعظيم حيث قال له موسى : أنت آدم الذي خلقك ا تعالى بيده وكذلك في حديث الشفاعة أن أهل الموقف يأتون آدم ويقولون له : أنت آدم أبو الناس خلقك ا تعالى بيده ويعلم من ذلك أن ترتيب الإنكار في ما منعك أن تسجد على خلق ا تعالى إياه بيديه لتأكيد الإنكار وتشديد التوبيخ كأنه قيل : ما منعك أن تعظم بالسجود من هو أهل للتعظيم للعناية الربانية التي حفت إيجاده .

وزعم الزمخشري أن خلقت من باب رأيته بعيني فبيدي لتأكيد أنه مخلوق لا شك فيه وحيث أن إبليس ترك السجود لآدم عليه السلام لشبهة أنه سجود لمخلوق وانضم إلى ذلك أنه مخلوق من طين وأنه هو مخلوق من نار وزل عنه أن ا سبحانه حين أمر من هو أجل منه وأقرب عباده إليه زلفى وهم الملائكة امتثلوا ولم يلتفتوا إلى التفاوت بين الساجد والمسجود له تعظيما لأمر ربهم وإجلالا لخطابه ذكر له ما يتشبث به من الشبهة وأخرج له الكلام مخرج القول بالموجب مع التنبيه على مزلة القدم فكأنه قيل له ما منعك من السجود لشيء هو كما تقول مخلوق خلقته بيدي لا شك في كونه مخلوقا امتثالا لأمري وإعظاما لخطابي كما فعلت الملائكة ولا يخفى أن المقام ناب عما ذكره أشد النبو وجعل ذلك من باب رأيت بعيني لا يفيد إلا تأكيد المخلوقة وإخراج الكلام مخرج القول بالموجب مما لا يكاد يقبل فإن سياق القول بالموجب أن يسلم له ثم ينكر عليه إلا أن يقدم الإنكار أصلا ويؤتى به كالرمز بل كالألغاز وأيضا الأخبار الصحيحة ظاهرة في أن ذاك وصف تعظيم لا كما زعمه وأيضا جعل سجود الملائكة لآدم راجعا إلى محض الإمتثال من غير نظير إلى تكريم آدم عليه السلام مردود بما سلم في عدة مواضع أنه سجود تكريم كيف وهو يقابل أتجعل فيها وكذلك تعليمه إياهم فليلحظ فيه جانب الآمر تعالى شأنه وجانب المسجود له عليه الصلاة السلام توفية للحقين وكأنه قال ما قال وأخرج الآية على وجه لم يخطر ببال إبليس حذرا من خرم مذهبه ولا عليه أن يسلم دلالة الآية على التكريم ويخصه بوجه وحينئذ لا تدل على الأفضلية مطلقا حتى يلزم مذهبه ولعمري أن هذا الرجل عق أباه آدم عليه السلام في هذا المبحث من كشافه حيث أورد فيه مثالا لما قرره في الآية جعل

فيه سقاط الحشم مثالا لآدم عليه السلام وبر عدو ا تعالى إبليس حيث أقام له عذره وصوب اعتقاده أنه أفضل من آدم لكونه من نار وآدم من طين وإنما غلطه من جهة أخرى وهو أنه لم يقس نفسه على الملائكة إذ سجدوا له على علمهم أنه بالنسبة إليهم محطوط الرتبة ساقط المنزلة وكم له من عثرة لا يقال لصاحبها لعامع الأنبياء صلوات ا تعالى وسلامه عليهم في هذا المقام نسأل ا تعالى أن يعصمنا من مهاوي الهوى ويثبت لنا الأقدام وقريء بيدي بكسر الدال كمصرخي و بيدي على التوحيد أستكبرت بهمزة الإنكار وطرح همزة الوصل أي أتكبرت من غير استحقاق أم كنت من العالين .

75 .

- أو كنت مستحقا للعلو فائقا فيه وقيل المعنى أحدث لك الإستكبار أم لم تزل منذ كنت من المستكبرين فالتقابل على الأول باعتبار الإستحقاق وعدمه